الزاوية التجانية باب الخضراء – تونس

الإمام لخطيب الحاج الحبيب بن حامد

حُرْمَةُ الدِّماءِ فِي الإِسْلَامِ

﴿ الخطبة الأولى ﴾

يوم الجمعة 21 جمادى الآخر 1436 هـ/ 10 أفريل 2015 م

الحمد لله،

الْحَمْدَ لِلَّهِ الذي منَّ بظاهر النعم وباطنها، وفروعها وأصولها، فأعطى النفوس من سوابغ نعمائه، غاية منيتها ومنتهى سؤلها، وأمرنا بحفظها وعدم اتّباع هواها، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ المحيي المميت الذي تفرد بإيصال الخيرات والمسارات، ودفع المضرات والمكروهات، القائل عز من قائل ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ﴾[[1]](#footnote-1)، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وَكَشَفَ اللهُ بِهِ الْغُمَّةَ، وَتَرَكَنَا عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، القائل « مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حُرِّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[[2]](#footnote-2)، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الأبرار وَأَصْحابِهِ الأخيار وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُ وَاهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ القرار.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَعَظِّمُوا أَمْرَهُ، وَاشْكُرُوا نِعَمَهُ، وَحَافِظُوا عَلَى فَرَائِضِهِ، وَاجْتَنِبُوا مَعَاصِيَهُ.

﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ﴾

ما هو هذا الحقّ ؟

عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، قيل : وما حقها ؟ قال : زنا بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، وقتل نفس فيقتل بها](http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=3005&idto=3005&bk_no=50&ID=3025#docu) «

عِبادَ اللهِ،

روى الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ ؟ قَالَ : فَيَجِيئُونَ، فَيَقُولُ هَذَا : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ، قَالَ: يُوشِكُ أَنْ يَبَرَّهُمَا، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، قَالَ : يُوشِكُ أَنْ يَتَزَوجَ، وَيَجِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى شَرِبَ الْخَمْرَ، فَيَقُولُ : أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ، فَيَقُولُ أَنْتَ أَنْتَ، ويُلْبِسُهُ التَّاجُ »

كما حرم الله سبحانه وتعالى قتل النفس مسلمة أو غير مسلمة فإنّه تعالى حرّم أيضا قتل الإنسان نفسه، قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[[3]](#footnote-3)،

ففي الحديث « من قتل معاهدا، لم يجد رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام »[[4]](#footnote-4)، والمعاهد الذي بينا وبينه عهد الأمان وسلام.

وشنع على هذه الجريمة فاعتبر قتل نفس واحدة بمثابة قتل الناس جميعا قال الله تعالى ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[[5]](#footnote-5)،

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[[6]](#footnote-6)،

وعَنْ ثَابِتِ بن الضَّحَّاكِ رضي الله عنه أنّه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مُتَعَمِّدًا، عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ »[[7]](#footnote-7)،

فالإنسان مسؤول عن نفسه أولا وهو مسؤول عن تزكيتها وتهذيبها وإصلاحها ودفعها إلى الخير وحجزها عن الشر. قال الله تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[[8]](#footnote-8) كما أنه مسئول عن حفظها ورعاية صحتها وتمتعها في حدود المباح، قال الله تعالى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[[9]](#footnote-9)،

عباد الله،

فالإنسان منهي عن إتلاف نفسه وإضعافها وتعذيبها فقد نهى الله تعالى عن الانتحار كما أسلفنا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنّه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ\* يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ\* يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ\* يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا »[[10]](#footnote-10)،

\* يتحسى : يتناول جرعة بعد جرعة

\* يتوجأ : يضرب و يطعن

\* التردي : السقوط من مكان عال.

كما يحرم عليه تعاطي كل ما يؤثر على صحته أو عقله فإن من جملة المقاصد العامة الضرورية للشريعة الإسلامية حفظ النفس والعقل والمال.

وإن لدم المسلم وحياته عند الله حرمة عظيمة،عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه، قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فقال « ما أعظم حرمتك »، وفي رواية أبي حازم لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال « مرحبا بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، إن الله حرم منك واحدة وحرم من المؤمن ثلاثا : دمه، وماله، وأن يظن به ظن السوء »[[11]](#footnote-11).

ولذلك كان زوال الدنيا عند الله أهون من قتل المؤمن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهماعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قَالَ « لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[[12]](#footnote-12).

أَقُولُ قولي هذا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فاستغفروه إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللهمّ احفظنا واسترنا من قتل النفس لا خطأ ولا عمدا ولا تزغ بنا عن الحق المبين يا أرحم الراحمين،

اللهمّ احفظنا وأولادنا واحفظ المسلمين عامّة في عقولهم ودينهم وأموالهم وأعراضهم وأرواحهم إنّك أنت الرقيب الحفيظ وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما.

1. الأنعام 151 [↑](#footnote-ref-1)
2. رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ [أَبِي مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ](http://library.islamweb.net/hadith/RawyDetails.php?RawyID=3248)، عَنْ [أَبِيهِ](http://library.islamweb.net/hadith/RawyDetails.php?RawyID=3988) [↑](#footnote-ref-2)
3. النساء آية 29 [↑](#footnote-ref-3)
4. صحيح البخاري [↑](#footnote-ref-4)
5. المائدة آية 32 [↑](#footnote-ref-5)
6. النساء آية 93 [↑](#footnote-ref-6)
7. المعجم الكبير للطبراني [↑](#footnote-ref-7)
8. الشمس آية 7، 8 ،9 ،10 [↑](#footnote-ref-8)
9. القصص آية 84 [↑](#footnote-ref-9)
10. صحيح مسلم [↑](#footnote-ref-10)
11. شعب الإيمان للبيهقي [↑](#footnote-ref-11)
12. سنن النسائي [↑](#footnote-ref-12)